الملحق الرقم (١)

الأمـة الحالمـة
دور الحلم في تكريس الخطاب الإسلامي السلفي

ناصر الحزيمي

قال أحمد بن حنبل:

«كان سفيان إذا قيل له أنه رئي في المنام قال أنا أعرف بنفسي من أصحاب المنامات»[١].

إن الدافع على تأليف هذا الكتاب[٢] أنني كنت في يوم من الأيام أنتمي إلى «الجماعة السلفية المحتسبة» والتي رفعت من شأن الحلم ومجّدته وسلكت طريقاً اختطه لها الحلم إلى آخره والذي انتهى بنهاية الجماعة حال دخولها الحرم ومبايعتهم لمحمد عبد الله القحطاني بين الركن

---

(١) صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج ١٥، ص ١٧٥.

(٢) هذه الورقات جزء من كتاب **الحلم ودوره في صناعة الحدث**.

والمقام وقُدّم للعالم الإسلامي على أنه «المهدي المنتظر»

كانت «الجماعة السلفية المحتسبة» وقبل حادث الحرم كأي جماعة إسلامية قامت أساساً على مبدأ الدعوة إلى الله حسب الطرق التقليدية «التذكير في المساجد والأماكن العامة» كما إنها ومنذ نشأتها المبكرة في أواسط الستينيات نهجت نبذ التمذهب واعتنت بالسنة عناية خاصة فتبنت تصحيحات الألباني للحديث وكتبه، ولعل السبب في ذلك يعود إلى وجود بعض من درس على الألباني في «الجامعة الإسلامية» من مؤسسي الجماعة مثل «سليمان بن شتيوي».

هذا بشكل مجمل منحى هذه الجماعة ولن أدخل في دور الحلم في تكوين الفكرة الخلاصية عندهم إلا بعد أن أسلط الضوء على منزلة الحلم أو الرؤيا في الخطاب السني السلفي خصوصاً.

الرؤيا في الخطاب السلفي

مشكلة الرؤيا أن مفهومها ملتبس في الحديث النبوي من حيث النص والمفهوم ولنأخذ **صحيح البخاري** الذي فيه أهم الأدلة حول الرؤيا وأصحها عند جمهور علماء السنة، حيث جاء فيه:

«... عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: ثم أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح...».

هذا الحديث ورد في **كتاب بدء الوحي**[٣]. إذاً الرؤيا الصادقة في المنام وحي من الله أو هي إحدى الطرق التي كان الرسول (ﷺ) يتلقى الوحي من خلالها وجمهور العلماء يرون أن ذلك خاص بالأنبياء أعني الرؤيا التي يراها الأنبياء مناماً كما حدث مع النبي إبراهيم والنبي يوسف (عليهما السلام).

كما إن هذا الحديث يؤسس لأحاديث أخرى أثارت إشكاليات كبيرة وما زالت، مثل حديث:

«... أبا قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثم الرؤيا الصادقة من الله والحلم من الشيطان»[٤].

وحديث:

«... أبي سعيد الخدري أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ثم إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هي من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان فليستعذ من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره»[٥].

بل إن البخاري عقد باباً قال فيه «باب الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة».

---

(٣) **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، كتاب بدء الوحي، ج ١، ص ٨.

(٤) المصدر نفسه، ج ١٢، ص ٣٦٨.

(٥) المصدر نفسه، ج ١٢، ص ٣٦٩.

وأورد فيه حديث «... أبي قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثم الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان فإذا حلم فليتعوذ منه وليبصق عن شماله فإنها لا تضره».

إلا أن أهم النصوص في هذا الباب هنا نص حديث:

«عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثم رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة»(٦).

وحديث «أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة»(٧).

وحديث «أبي سعيد الخدري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثم الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة»(٨).

وفي باب المبشرات من **صحيح البخاري**:

«أن أبا هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لم يبق من النبوة إلا المبشرات. قالوا وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة»(٩).

---

(٦) المصدر نفسه، ج ١٢، ص ٣٧٣.

(٧) المصدر نفسه، ج ١٢، ص ٣٧٣.

(٨) المصدر نفسه، ج ١٢، ص ٣٧٣.

(٩) المصدر نفسه، ج ١٢، ص ٣٧٥.

هذه الأحاديث الواردة في صحيح البخاري أسست لوحي غير معلن ومسكوت عنه وأصبح مخرجاً لكل من يبحث عن تشريع[١٠] أو موقف يحتاج إلى تعزيز وشحن ولا نستغرب إذا أعلن أحدهم عن موقف مصيري استناداً إلى الرؤيا، فقد يمارس العنف والقتل والهوس باسمها استناداً إلى هذه الأحاديث، وكم حدثنا التاريخ عن مثل هذه الممارسات، والغريب أن الرؤية والإيمان بها على هذا الوجه أصبحت من أصول العقيدة عند عرّاب الفكر السلفي الإمام أحمد بن حنبل جاء في **طبقات الحنابلة**[١١] نص في عقيدة أهل الأثر قال: «... أبو العباس أحمد بن جعفر بن يعقوب بن عبد الله الفارسي الأصطخري قال قال أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل:

هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بعروقها المعروفين بها المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مبتدع خارج من الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل

---

(١٠) خصوصاً عند من لا يعمِلون العقل في الفقه ويقفون عند ظواهر النصوص القرآنية والنبوية، كما هو حاصل في الخطاب السلفي عموماً وخطاب الصحوة بشكل خاص.

(١١) محمد بن الحسين بن أبي يعلى الفرّاء، **طبقات الحنابلة**، ج ١، ص ٢٤، في ترجمة «أحمد بن جعفر بن يعقوب بن عبد الله أبو العباس الفارسي الأصطخري».

الحق فكان قولهم إن الأيمان قول وعمل ونيّة وتمسّك بالسنة والإيمان يزيد وينقص ويستثنى في الإيمان، غير أن لا يكون الاستثناء شكاً إنما هي سنة ماضية عند العلماء... والرؤيا من الله عز وجل وهي حق إذا رأى صاحبها شيئاً في منامه ما ليس هو ضغث فقصها على عالم وصدق فيها وأوّلها العالم على أصل تأويلها الصحيح ولم يحرف فالرؤيا حينئذ حق وقد كانت الرؤيا من الأنبياء عليهم السلام وحي فأي جاهل أجهل ممن يطعن في الرؤيا ويزعم أنها ليست بشيء، وبلغني أن من قال هذا القول لا يرى الاغتسال من الاحتلام وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رؤيا المؤمن كلام يكلم الرب عبده وقال إن الرؤيا من الله عز وجل وبالله التوفيق...»[١٢].

هذا هو الموقف السلفي من الرؤيا من دون مواربة فمَن خالفها أو طعن فيها فهو زائغ عن الحق إلى آخر ما ذكر من نفي من ربقة سبيل الحق وان حاولوا في كثير من الأحيان

---

(١٢) قال القرطبي في تفسير سورة يوسف:

«... وعلى الجملة فإن الرؤيا الصادقة من الله وأنها حق ولها التأويل الحسن وربما أغنى بعضها عن التأويل وفيها من بديع الله ولطفه ما يزيد المؤمن في إيمانه ولا خلاف في هذا بين أهل الدين والحق من أهل الرأي والأثر ولا ينكر الرؤيا إلا أهل الإلحاد وشرذمة من المعتزلة...». وجاء في **الفتاوى الحديثية** لإبن حجر الهيتمي، ص ٤: «سئل رضي الله عنه: ما حقيقة الرؤيا؟ فأجاب نفع الله بعلومه: بأن حقيقة الرؤيا عند جمهور أهل السنة خلق الله تعالى في قلب النائم أو حواسه الأشياء كما يخلقها في اليقظان وهو تعالى يفعل ما يشاء لا يمنعه عنه نوم ولا غيره، وعليه ربما يقع ذلك في اليقظة كما رآه في المنام وربما جعل ما رآه علما على أمور أخر يخلقها تعالى في الحال أو كان قد خلقها فتقع...».

الصمت حيال ذلك خصوصا حال إخفاقات الرؤى والمنامات كما حدث في واقعة الحرم فالخطاب السلفي العام يقول أننا في آخر الزمان الذي هو في انحدار[١٣] وقد جاء في **صحيح البخاري**:

«... حدثنا محمد بن سيرين أنه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة وما كان من النبوة فإنه لا يكذب...»[١٤].

هذا ما طبّقه الكثير من السلفيين والجماعات الخلاصية على الواقع وخرجوا بنتيجة مؤداها أننا في آخر الزمان وأننا في زمن خروج المهدي المنتظر[١٥] وقبل ذلك ومنذ أن عرفت «الجماعة السلفية المحتسبة» وهي تمجد الرؤيا وترفع من شأنها حتى انتشر بينهم مؤولوا أو مفسّروا الأحلام وكانت الرؤى تحظى من جلساتهم العلمية بنصيب وافر ولا أذكر أنني جلست مع جهيمان في سفر أو حضر إلا ويُسأل

---

(١٣) لهذا من الخطأ أن نستغرب عدم وجود مشروع مستقبلي للجماعات الأصولية فهي تعتقد عموماً إننا في آخر الزمان والذي هو بالضرورة وحسب النصوص المعتمدة عندهم يمثل الانحدار على جميع الأصعدة وأن المهدي المنتظر والدجال سيظهر فما الداعي للقلق على المستقبل.

(١٤) **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، كتاب بدء الوحي، ج ١٢، ص ٤٠٤.

(١٥) حسب القواعد الحديثية لم يصح أي دليل من أدلة خروج المهدي في آخر الزمان ولا غيره.

عن تأويل حلم[١٦] كما مارست الجماعة عملية دمج بين الأحلام وأحاديث الفتن وأشراط الساعة بحيث أصبحوا يستعينون في تطبيقها على الواقع ومجرياته عليها وهكذا تواترت الأحلام من المنتسبين إلى الجماعة وتوطدت علاقتهم بأخبار الفتن وأشراط الساعة حتى أنك لا تجد مكتبة من مكتبات فرد من أفراد الجماعة إلا وتجد فيها «كتاب إتحاف الجماعة في الفتن وأشراط الساعة» للشيخ حمود التويجري يقول جهيمان عن هذا الكتاب «... وننصح إخواننا بقراءة بعض الكتب المؤلفة لبعض العلماء منهم... وكتاب إتحاف الجماعة للشيخ حمود التويجري وفقه الله (مع الحذر من الروايات الضعيفة فيه) وقد تكلم هو على بعضها وقد أجاد في الرد على بعض أصحاب العقليات الزائفة ممن ابتلي بهم المسلمون. فاحرص على الاستفادة منها، وللشيخ قدم راسخة في هذا الباب زاده الله توفيقاً»[١٧]. وتواترت الأقوال إننا في آخر الزمان وتكثّفت الرؤى حول ذلك وطبّق جهيمان أحاديث الفتن على الواقع وسمعتها منه مشافهة[١٨] في مجالس الجماعة قبل عام

(١٦) من الأشياء التي يرى جهيمان أنه يتمتع بها أنه ذو فراسة في الناس وفي الأمور، وهي أهم شروط مفتر الأحلام. ومثل هذه القناعة هي التي جعلته يطرح قضية محمد عبد الله القحطاني على أنه المهدي المنتظر ويتبناها بشكل شخصي ليقينه بفراسته وإيمانه بها.

(١٧) «رسالة الفتن وأخبار المهدي،» في: **رسائل جهيمان**، ص ٢٠٩.

(١٨) قبل أن يدونها في «رسالة الفتن وأخبار المهدي ونزول عيسى وأشراط الساعة».

١٣٩٨ هجرية بمدة أي قبل أن يصبح جهيمان مطلوباً للعدالة؛ وحددت هذه النقطة حتى لا يظن أحد أنها وليدة الحصار الذي فرض عليه منذ عام ١٣٩٨ هجرية وحتى دخولهم الحرم عام ١٤٠٠ هجرية.

وكما قلنا طبّق جهيمان أحاديث الفتن على الواقع فقال في «رسالة الفتن» «وأخرج أبو داود ـ كتاب الفتن ـ (٤٢٤٢) بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنا قعوداً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الفتن فأكثر من ذكرها حتى ذكر فتنة الإحلاس فقال قائل يا رسول الله وما فتنة الإحلاس؟ قال: «هي هرب وحرب ثم فتنة السراء دخنها من تحت قدمي رجل من أهل بيتي يزعم أنه مني وليس مني وإنما أوليائي المتقون ثم يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع ثم فتنة الدهيماء لا تدع أحداً من هذه الأمة إلا لطمته لطمة». وعلق جهيمان على هذا الحديث بقوله «. . . أما قوله صلى الله عليه وسلم في فتنة السراء أن دخنها من تحت قدمي رجل من أهل بيته فلا أراه إلا حسين الشريف الذي كان يحكم الحجاز قبل الملك عبد العزيز. فانه كان من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم في النسب، وكان في عصره يطاف بالقباب، كما يطاف بالكعبة، وينقلون عنه أنه كان يتهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله أنه فرق الناس. . . وبذلك ترى أنه ينطبق عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم كما يظهر لي: «يزعم أنه مني وليس مني» وقد علّل عليه الصلاة والسلام ذلك فقال:

«إنما أوليائي المتقون» وأما الرجل الذي يصطلح الناس عليه فيظهر لي أنه الملك عبد العزيز، لأن جزيرة العرب قبله كانت مليئة بالحروب وقطع الطرق، فلا يستطيع أن يأمن بها مسلم ولا كافر، ثم حصل هذا الأمن للناس مسلمهم وكافرهم فتجد المسلم والنصراني والشيعي كلهم مختلطين آمن كل منهم من صاحبه فينطبق عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ثم يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع» ونحن الآن في فتنة الدهيماء التي لا تدع أحداً من هذه الأمة إلا لطمته لطمة كلما قيل انقضت تمادت، وواقعنا يشهد لذلك فترى أن أهل الباطل يخرجون علينا كل يوم بفتنة جديدة فيبسطونها في أول الأمر، ثم يتمادون فيها كمثل الإذاعة أول ما أنشئت كانت لا تبث إلا القرآن والأخبار ولا يسمع فيها صوت امرأة، ثم تطور الأمر حتى أصبحت المرآة هي التي تذيع البرامج مع الرجال، وتغني الأغاني الخليعة ثم أخرجوها سافرة على شاشة التلفزيون، وهكذا الصور وغيرها، وهكذا في سائر مخططاتهم لمن تدبر ذلك ممن رزقه الله البصيرة».

وقال في الرسالة نفسها عند حديث عوف بن مالك قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم «... **فقال أعدد ستاً بين يدي الساعة... ثم فتنة لا تدع بيتاً من العرب إلا دخلته...**» ورجح جهيمان أن هذه الفتنة هي الصور الموجودة على النقود فقال: «... **وأما الفتنة التي لا تدع بيتاً من العرب إلا دخلته فقد وردت مجملة في هذا الحديث، وإذا تأملت واقعك اليوم**

رأيت أنه لم يبق بيت من بيوت العرب إلا دخلته الفتنة في الدين، ومن ذلك فتنة الصور الموجودة في النقد وغيره. فما تجد بيتاً من العرب إلا دخلته...» مثل هذه المقدمات هي التي يتكىء عليها مبرر خروج المهدي المنتظر عند الجماعات الإسلامية الخلاصية وخصوصاً السلفية منها، وإن صمت بعضهم عنها لبعض الوقت، إلا أنها حاضرة في وجدانهم وضميرهم الثقافي وإن أُجّلت لساعات الحاجة كما أجلت قضية الجهاد والاستشهاد في سبيل الله فترة من الزمن وظهرت على السطح عند أول فرصة وتمثلت في صورة عمليات إرهابية ليس لها أي هدف أو مبرر منطقي سوى المطالبة بالنموذج «الطالباني» في حكم الدولة وهو أمر لا يقبله لا العرف الديني ولا العرف السياسي ولا العرف الاجتماعي.

كانت هذه الأطروحات حاضرة في مجالس الجماعة دائماً وكنت أسمعها من أكثر من واحد منهم حتى أن بعضهم كان يتحرّج من حمل النقود بسبب وجود الصور عليها، فكان أغلبهم يضعونها في درج السيارة هي والأوراق الثبوتية المحتوية على الصور الشخصية. واستخرج بعضهم تابعية معفاة من الصورة بوساطة بعض العلماء، وعمل آخرون على أن تكون نقودهم عملات معدنية، وقد ركبت مع أحدهم في أحد الأيام، وإذا به قد وضع في المرتبة الخلفية كيساً من الخيش حمولة خمسة وعشرون كيلو وإذا به قد ملأه نقوداً معدنية من فئة الريال، وكان يتعامل به في مشترياته،

وأخبرني أنه يوجد عنده في البيت ثلاثة أكياس أخرى مثل هذا، وبعضهم طمس الصور الموجودة على العملة بالحبر، كل ذلك لكي يهربوا من الفتنة التي لم تدع بيتاً إلا دخلته. أما المجلات والجرائد فلم يدخلوها بيوتهم البته بل إن بعضهم يقطع قصاصات الجرائد الملقاة على الأرض كما هرب بعضهم من سكنى المدن ونصبوا خياماً لهم في الصحراء قريباً من المدينة لكي يتاح لهم الوقت لدخولها بسرعة لاعتقادهم في ما لو جاء المسيح الدجال فهو لا يدخل المدينة لأن الملائكة تحرسها، كما إنه كثيراً ما ينهي جهيمان فقراته بقوله «لم يبق إلا الدجال»، وهكذا كانوا يحضّرون أنفسهم لوقوع أشراط الساعة، هذا تم في وقت مبكّر وكما قلنا قبل عام ١٣٩٨ هجرية وكانت الأحلام تسندهم في ذلك ولا يوجد يوم إلا ونسمع حلم حول الخلاص المنتظر فمثل هذا الهوس الجمعي لا بد وإن يبلغ مداه بنفس الأدوات المعرفية فطرحت قضية المهدي المنتظر وأنه محمد عبد الله القحطاني وهو شاب جاء أسلافه مع حملة محمد علي باشا من مصر[١٩] واستوطن أحد جدوده في جيزان. قال لي سعد عبد الله القحطاني أخو محمد عبد الله حين سألته كيف يكون محمد هو المهدي المنتظر وهم من قحطان؟ فقال لي أنهم ليسوا من قحطان نسباً وإنما مجاورةً، وأن جدهم الأكبر من أشراف مصر جاء مع حملة

---

(١٩) كان أهل جيزان يطلقون عليهم بيت التركي لأنهم جاؤوا مع الأتراك.

محمد علي واستوطن جيزان[٢٠]. وهكذا أثبتوا له نسباً للأشراف ووافق اسمه اسم النبي واسم أبيه عبد الله ورأوا له الأحلام التي تعزّز دعواه الخطيرة وأصبح ذلك هو حديث مجالس الجماعة وأصبحت الأحلام تتواتر حول ذلك تصريحاً وتلميحاً، وتولّى جهيمان ذلك وحاول إقناع مجموعة بذلك، ودار بين الجماعة كلام مؤدّاه أن محمد عبد الله غير مقتنع أنه هو الذي ورد فيه النص واعتزل مجالس الجماعة، ثم وبعد مديدة اقتنع أنه هو المهدي المنتظر الذي ورد فيه النص، وسألت محمد عبد الله عن ذلك، فقال لي أنه رأى رؤيا حق تثبت أنه المهدي المنتظر وقد انشرح صدره لذلك في ليلة بعد أن استخار أكثر من مرة وهو مصداق حديث الرسول «يصلحه الله في ليلة». أما أنا ومجموعة فلم نقتنع بذلك خصوصاً أنني سمعت أن شيخي علي المزروعي لم يكن مقتنعاً واستمرت علاقتي بالجماعة كما هي، إلا أن جهيمان لم يعد يطلب لقائي كما كان يفعل سابقاً.. خصوصاً حال التنسيق في توزيع المنشورات أو توجيه الجماعة في الرياض، ودخلت الجماعة مرحلة جمع السلاح وتناصحوا فيما بينهم على جمعه وتخزينه وسمعت أن بعضهم باع مزرعته لكي يشتري بثمنها السلاح مثل سعيد بن عبد الله الأخ الأكبر لمحمد بن عبد الله.. في هذه المرحلة دخلني الرعب

---

(٢٠) من المعروف أن الأتراك يصطحبون معهم في حملاتهم العسكرية الأشراف كفأل حسن للحملة الغازية.

والخوف فانقطعت عن الجماعة وعن حضور مجالسهم، فالمسألة بالنسبة إليّ قد تجاوزت حدها جداً، وانتهت إلى دخول الجماعة إلى الحرم واعتصامهم به لمدة خمسة عشر يوماً. وكان المحرّك لهم الحلم الذي لم يفارقهم حتى وهم محتجزين في خلوات الحرم. يقول لي فيصل محمد فيصل ونحن داخل السجن وفي غرفة واحدة وكان معهم حتى آخر يوم، أن بعض الإخوان رأوا أنه خسف بالجيش الذي جاء لمحاربتهم هل سمعت عن ذلك؟ فذكرت له أنه لم يحدث أي شيء من هذه الأشياء، فقال لي أننا سمعنا عن أشياء كثيرة ونحن في الخلوات ولا أدري ما مصدرها.

لقد شكّل الحلم عند هذه الجماعة المحرّك الأساس لحركتهم، وأنا أعتقد أنه سيبقى المحرّك لحركات أخرى خلاصية، فإذا كان قد فُعل عند «الجماعة السلفية المحتسبة» فهو بلا شك مؤجل عند جماعات خلاصية أخرى من الممكن استعماله وقت الحاجة إليه.